مسيحيون ولسنا نصارى

دكتور جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

مسيحيونَ ولسنا نصارى

دكتور

جورج حبيب بباوي

٢٠١٩

الكتاب : مسيحيون ولسنا نصارى
المؤلف : دكتور جورج حبيب بباوي
الناشر : جذور للنشر – ت: ٢٧٧٩٦١٣٧
الطبعة : الأولى يناير ٢٠١٩
المطبعة : جي سي سنتر
١٤ ش محمود حافظ . ميدان سفير . مصر الجديدة

مقدمة تاريخية

هذا بحثٌ تاريخيٌّ لم يُكتب للطعن في القرآن، بل لتأكيد أن القرآن يقدم لنا لمحةً عن حركة التهوُّد داخل الجزيرة العربية. ذلك أن النصرانية نشأت في أورشليم، ثم امتدت خارج أورشليم بعد سقوط أورشليم في سنة ٧٠ ميلادية، وكتب عنها آباء الكنيسة، باعتبارها أحد فروع حركة التهود.

كان الاهتمام بحركة التهود معروفاً لدى علماء التاريخ مثل J. Danielou, Schoeps, Longenecker, Simon وعددٌ غير قليل من هؤلاء أظهروا لنا تلك الحلقة التي تُعرف باسم Jewish Christianity ونُشرت الكثير من الأبحاث في الدوريات المتخصصة لكل من: J. Munck, Rmurry, R. Ebrown لكن النهضة الآبائية عندنا في مصر لم تتعرض لوضع الشِّيَع التي أحاطت بالكنيسة الجامعة؛ لأن العودة إلى الآباء لا زالت في أول الطريق. ومع أن الآباء إيرينئوس وأوريجينوس وترتليان وأبيفانيوس وجيروم وغيرهم من علماء الكنيسة السريانية، قدَّموا لنا الوفير من المعلومات، إلا أننا لا زلنا في أول الطريق، نقدِّم المزيد من الترجمات والقليل من الدراسات.

الفصل الأول

الاسم القديم: "النصارى"

من المؤسف حقاً أن يُقتَل مسيحيٌ في مصر بالذات، لأن آية من آيات القرآن تقول: "لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ" (المائدة ٧٢)؛ ذلك أن النص –في اعتقادنا– لا يَمَس المسيحية من قريب أو بعيد، بل هو يؤكد توافق الدعوة الإسلامية مع اعتقاد النصارى بأن المسيحَ بشرٌ، وهو ما يؤكده القرآن على الأقل مرتين. على أنه، إذا كان تأكيد إنسانية المسيح هو قاسمٌ مشترك بين المسيحية والنصرانية والإسلام، لكن يبقى أن تأكيد أُلوهية يسوع المسيح، هو ما تنفرد به المسيحية، وترفضه النصرانية كشيعة لها جذورها اليهودية، وهو ما يرفضه الإسلام أيضاً.

يُدعى ناصرياً (متى ٢: ٢٣):

في شرح إنجيل متى للقديس جيروم (ccl 77: 16 – 23 :2 :1)، ذَكَرَ أن متى كَتَبَ أن الملاك أخبر يوسف بأن يذهب إلى الجليل، وهي منطقة اختلط فيها اليهود مع الأمم، وذهب يوسف مع مريم ويسوع إلى "الناصرة" لكي يتم ما قيل بالأنبياء أنه سيُدعى ناصرياً. ولاحَظَ جيروم أن متى لم يدوِّن اسمَ نبيٍّ، بل كَتَب بصيغة الجمع: "الأنبياء".

وعلَّق جيروم على هذا بأن "ناصرياً" تعني "نذيراً" مقدساً، وهو ما دوِّن في كل الأسفار، ويمكن أن تعني أيضاً، حسب العبرانية وكما ورد في أشعياء: "غصنٌ سوف ينبُت من يسى"، أي من جذر شجرة يسى، وكلمة "ناصري (غصن)" من هذا الجذر".

وقد قَبِل القديس كيرلس الكبير ذات الشرح في الفقرة ١٦ من شرحه لإنجيل متى (طبعة جامعة برلين ١٩٥٧ ص ١٥٨). وورد اسم الناصريين في (أعمال ٢٤: ٢٥)، إذ وُصِف الرسول بولس بأنه: "مُفْسِداً وَمُهَيِّجَ فِتْنَةٍ بَيْنَ جَمِيعِ الْيَهُودِ الَّذِينَ فِي الْمَسْكُونَةِ **وَمِقْدَامَ شِيعَةِ النَّاصِرِيِّينَ**". ومن التلمود البابلي والأورشليمي معاً كما سنرى بعد ذلك، نجد أن اليهودَ كانوا يلعنون "النصارى" أو الناصريين ثلاثَ مرَّاتٍ في اليوم.

وكلمة "شيعة" في اليونانية تعني "هرطقة – αίρεσεως". كما تعني كلمة "الناصريين –Ναξωραίων" أنهم الجماعة أتباع يسوع الناصري.

وقد اختلط اسم "الناصري"، وهم الاسم الشائع عند اليهود، بالاسم العبراني القديم "النذير" أو "المقدَّس لله" الذي سبق الإشارة إليه في سفر أشعياء، وهو لقب شمشون في سفر القضاة (١٣: ٥ و٧ — ١٦: ١٧). وصورة يوحنا

المعمدان هي صورة "النذير" المخصَّص لخدمة الله، وإن كان يسوع نفسه لم يظهر بشكل "نذير"؛ لأن يسوع كان هو ابن الإنسان الذي يأكل ويشرب، ولذلك قيل عنه إنه محبٌ لشرب الخمر (لوقا ٧: ٣٤). وقد رفض القديس أبيفانيوس[١] التفسير القائل بأن يسوعَ نذيرٌ، وقال إن الشائع هو ربط وصف "الناصري" بمدينة الناصرة، وأن نبوة أشعياء (١١: ١) عن غصنٍ من أصل يسى، هي التي تقف خلف شيوع هذا الاسم الذي لصق بالرسول بولس نفسه. وحسب أبيفانيوس نفسه، كان الذين قَبِلوا تعليم يسوع يُوصَفون باسم "اليسوعيين — lessaioi"[٢]. ولم نعثر في المصادر القديمة على هذا الاسم إلا عند الأسقف نيلوس Nilus أسقف أنقرة (حوالي ٤٣٠)[٣]. ولكن كلاهما لم يكن يشير إلى شيعةٍ أو مذهبٍ عُرِفَ بهذا الاسم.

عموماً، يبدو أن الجماعات التي تركت مجمع اليهود كان لهم اسمٌ واحد، أطلقه عليهم اليهود، وهو "الناصريين".

---

(١) بناريون، أو ضد الهرطقات ٢٩: ٥ — ٧.

(٢) المرجع السابق، بناريون ٢٩: ١.

(3) Demonasfica, 3, PG, 79:721.

لكن الاسم الآخر عند الناطقين باليونانية، لا سيما في انطاكية، هو "المسيحيون"، وهو الاسم الأكثر شيوعاً، لا سيما لدى الأمم، والذي سُجِّل في سفر الأعمال (١١: ٢٦ — ٢٦: ٢٨)، ثم في رسالة القديس بطرس الأولى (٤: ١٦). فالاسم Nazaraios هو اسم اتباع يسوع الناصري.

شيعة الناصريين:

هم أتباع يسوع. ومن سفر الأعمال نفسه، وبالذات الإصحاح ١٥، نعرف أن دعوة التهود كانت منتشرة بين أتباع يسوع من اليهود. وحسب أعمال (٢٤: ٥)، نعرف أن اليهودي ترتلس وَصَفَ بولس بأنه قائدٌ لمجموعة تثير الفتن، ولكن يبدو من سفر الأعمال أن أتباع يسوع لم يقبلوا ذلك الاسم؛ لأن الاسم القديم الآخر الذي قبلوه، هو "الطريق" (راجع سفر الأعمال ٩: ٢ — ١٨: ٢٥، ٢٦ — ١٩: ٩، ٢٣ — ٢٢: ٢٤ وفي ٢ بط ٢: ٢، ١٥، ٢١). ويعود هذا الاسم "الطريق" إلى يسوع نفسه؛ لأنه هو مَن أطلق على نفسه ذلك الاسم: "الطريق" (يو ١٤: ٤ – ٦، مت ٧: ١٤). لكن حسب المصادر المسيحية المتمثلة في: (رسائل أغناطيوس الأنطاكي (حوالي ١١٠م) في رسائله إلى فيلادلفيا ٦: ١ ومغنسيا ٤: ١٠ وروما: ٣. وبوليكارب: ٧ وفي استشهاد بوليكارب: ١٠ ورسالة ديوجنيتوس، وفي دفاع يوستينوس الدفاع الأول ٣: ٤ — الديداكي ١٢: ٤)،

نجد أن مَن يقبل أي اسم آخر غير الاسم "مسيحي"، فهو ليس من الله. ويرد القديس أثناسيوس الرسولي على الأريوسيين: "إننا جميعاً من المسيح يقيناً، لذلك نُدعى مسيحيين" (ضد الأريوسيين ١: ٣)، ثم يضيف: "إن الذين ظلوا في الكنيسة الجامعة بقوا مسيحيين، أما الذين خرجوا منشقين مع أريوس، فإنهم تخلُّوا عن اسم المخلِّص لنا".

الاسم "مسيحي"

لا يقبل أحدٌ ان يُدعى باسم الذي علَّمه الايمان، بل حسب القديس أثناسيوس: "الذين يهجرون ضلالة الأوثان، فإنهم لا يُدعَون بأسماء الذين علَّموهم أصول الإيمان، بل يُدعَون باسم المخلص" (ضد الأريوسيين ١: ٣). وفي نفس المقالة فقرة (٤٦ – ٤٧)، يقول أثناسيوس: "إن يسوع قد مُسِح بالروح القدس عندما اعتمد في الأردن"، وهكذا شرح أثناسيوس معمودية يسوع أنه "يَمْسح بالروح، وذلك حتى يبني فينا نحن البشر سُكنى الروح .. نزول الروح عليه في الأردن كان نزولاً علينا نحن (البشر) لأنه لبس جسدنا .. من أجل تقديسنا من جديد، ولكي نشترك في مسحته .. كنا نحن الذين نغتسل فيه وبواسطته، وحينما اقتبل الروح، كنا نحن الذين صرنا مقتبلين للروح". إذن، فالاسم "مسيحي" يعود إلى مسحة المسيح، وهكذا لم يَعُد اسم "الطريق" يكفي، ولم يَصِر للاسم "ناصري" أي معنى أو

قيمة، وهو ما سنراه عند كل الآباء في شرح اسم "مسيحي"، الذي يعني "مُسح بالروح القدس، فصار "مسيحاً"[1].

(1) راجع كيرلس الأورشليمي في عظات الموعوظين، لا سيما العظة الخاصة بالميرون (١٨: ٢٦) حيث يقول: "اسمي مسيحي واسم الكنيسة كاثوليكي".

الفصل الثاني

شهادة آباء الكنيسة

شكَّل بعض الذين آمنوا برسالة المسيح ما يُسمَّى بحركة التهود، وقد انقسمت هذه الحركة إلى عدة فرق، وأشهر هؤلاء هم الأبيونيين Ebionites وقد ميَّزهم القديس ايريناوس عن شيعة غنوصية عُرفت باسم Cerithus[١]. وعرض القديس ايريناوس لبعض اتجاهات حركة التهود، تمثلت بالذات في قراءة إنجيل متى بالعبرانية، وكراهية القديس بولس لأنه أنكر وساطة شريعة موسى[٢].

ومن كتابات ترتليان نعرف أن الأبيونيين كانوا يعتقدون أن المسيح مجرد إنسان[٣]. وكان المؤرخ الكنسي يوسابيوس قد خصَّص فصلاً كاملاً عن هؤلاء[٤]، وأكَّد ما سبق وذُكِر عن أن يسوع هو مجرد بشر، وإن كانت فرقة منهم تؤمن بالميلاد من العذراء.

---

(١) ضد الهرطقات ١: ٢٦-٢.

(٢) المرجع السابق ٣: ١١-٧.

(3) De Praeser 33:5-11.

(٤) تاريخ الكنيسة ٣: ٢٧.

النصارى Nazarenes:

إذا عدنا إلى التاريخ الروماني، نجد إن بليني الكبير يذكر في كتابه الخامس فصل ٢٢ تاريخ الطبيعة Historia Naturalis "والآن يجب أن البلاد في سوريا لأن سوريا فيها مدينة تدعى Kulat el Mudik وهي مدينة أباما Apamea ويفصلها نهر Marsyas عن باقي المدن، حيث النذارين Nazerionorm". من هنا نعرف أن نظرة اليهود إلى كل مَن يتبع تعليم يسوع الناصري، هو Nazarenes.

يوستينوس الشهيد:

في حواره مع تريفو اليهودي يذكر الشهيد يوستينوس أن تريفو يسأل عن الذين يؤمنون بالمسيح ويحفظون الشريعة الموسوية، ومع ذلك يؤمنون بأن يسوع قد صُلِب، ويعتقدون أنه مسيح الله (١: ٤٦). ومن فقرات ٤٧ – ٤٨ من نفس الحوار، ندرك أن يوستينوس يحاور تريفو عن المسيح المرسل من الله، المسيح الذي آمن به هؤلاء اليهود (فصل ٤٧)، وأن ضمن هؤلاء فرقة لا تزال تحفظ شرائع موسى.

العلامة أوريجينوس:

وفي الرد على كلسوس يقدِّم لنا العلامة أوريجينوس شذرة من كلسوس (الكتاب الخامس ٦١):

"علينا أن نوافق على أن بعض الذين آمنوا بيسوع، يفتخرون بأنهم مسيحيون، لكنهم يحبون أن يضعوا نظام حياتهم مثل باقي اليهود حسب الشريعة اليهودية، وهم فرقتين من الأبيونيين، إحداهما يعترفون معنا بأن يسوع قد وُلِد من العذراء، والأخرى ينكرون ذلك ويقولون إنه وُلِد مثل باقي البشر".

في مقدمة كتاب المبادئ يضع العلامة أوريجينوس اقتباسا مما عُرف باسم "تعليم بطرس"، حيث وردت عبارة تُنسب للرب يسوع: "أنا لست شبحاً بلا جسد". ويقول إن كل ما جاء في هذه الوثيقة ليس من "بطرس الذي ألهمه روح الله" (٢: ٨)[١]. وفي نفس الكتاب يذكر في الكتاب الرابع (٣: ٨ ص ٣٣٣ – ٣٣٤): "لقد تعلمنا منه أي (يسوع) أن اسرائيل واحد حسب الجسد، والآخر حسب الروح؛ لأن الابيونيين يقولون إنهم لا يقبلون عبارة الرب: "إنني أُرسلت من أجل الخراف الضالة في بيت اسرائيل"، لأن هؤلاء، أي الأبيونيين صاروا حكماء في الأمور الجسدانية. والاسم "أبيون" يعني "الفقير" ... هم فقراء في المعرفة والفهم؛ لأن الذين يظنون أن المسيح يهتم بالأمور الجسدانية، وهم الاسرائيليون الذين عاش المسيح بينهم، لأن "أبناء الجسد ليسوا أبناء الله".

---

(١) اعتمدنا على طبعة Koetschan ص ١٤-١٥.

كان إنجيل العبرانيين الذي فُقِدت أكثر فصوله، هو السفر الخاص بالأبيونيين، ولذلك يذكر العلامة في شرحه لسفر أيوب (٢: ٢): "إذا قَبِل إنسانٌ إنجيل العبرانيين حيث يقول المخلص عن نفسه "الروح القدس أمي، حملني من شعري وجاء بي إلى الجبل العظيم طابور، سوف لا يشك مطلقاً في أن الروح القدس ليس هو أم المسيح .."[١].

وفي العظة الأولى على انجيل لوقا طبعة Raaer يقول العلامة: "لدى الكنيسة أربعة أناجيل، ولدى الهراطقة أناجيلَ كثيرةً، وواحدٌ من هذه الأناجيل الكثيرة حمل الاسم: "حسب المصريين"، والآخر اسم "الاثنا عشر رسولاً" (ص ٤-٥). وفي نفس المرجع عظة ١٧ يقول أوريجينوس: "العلامة التي أُعطيت هي العذراء الأم، وهو ما ينكره المرقيانيون (أتباع مرقيان الغنوسي)، فهو ينكر العلامة، ويقول مرقيان إنه لم يُولد من امرأة على وجه الإطلاق ويقاوم العلامة الابيونيون ويقولون إنه وُلِد من إنسان ومن امرأة مثل باقي البشر" (ص ١١٥).

وفي العظة ٣: ٥ على سفر التكوين تحقيق Baechrens يقول: "لا يكفي الرد على اليهود الجسدانيين فقط بسبب ختان الجسد، بل بعض الذين آمنوا باسم المسيح يؤمنون رغم إيمانهم

---

(١) طبعة Preaschen ص ٧٦.

أن ختان الجسد يجب أن يبقى، مثل الأبيونيين وغيرهم من الذين ضلوا بسبب فقرهم في الفهم .." (ص ٤٤).

وفي العظة ٨٥: ٤ على سفر أرميا (تحقيق Klostermann ص ١٢٨) أعاد العلامة أوريجينوس ذِكر ضلال حركة الأبيونيين الذين يقولون إن الروح القدس هو أُم يسوع، وأن الروح حمله إلى جبل طابور.

وفي شرح إنجيل متى (٥: ٤) يذكر العلامة: "مكتوب في إنجيل العبرانيين، ولا يوجد مَن يقبله لأنه ليس من التسليم، ولكن الاقتباس منه هو إجابة على سؤال عن معنى الكلمات: "وجاء شخص غني وقال له يا سيد أيُّ صلاحٍ أعمل لكي أرث الحياة؟ فقال له "أفعل ما في الشريعة وما في الأنبياء. فرد عليه لقد فعلت، فقال له بع كل مالك وقسِّم ما عندك للفقراء وبعد ذلك تعال واتبعني. ولكن الشاب الغني بدأ يهرش رأسه لأن ما سمع لم يرضِه، لكن الرب قال له: لماذا تقول إنك فعلت كل ما في الشريعة والأنبياء؟ أليس مكتوباً في الشريعة حِب قريبك كنفسك؟ ألا ترى أن اخوتك أبناء ابراهيم قد غطاهم الروث ويموتون من الجوع، بينما بيتك مملوء بخيرات كثيرة، وأنت لا تعطي شيئاً لهؤلاء. ثم التفت إلى سمعان تلميذه الذي جلس معه وقال له: "يا سمعان بن يونا من السهل أن يدخل جملٌ من

ثقب إبرة، وهو أكثر سهولة من غنيٍّ يدخل ملكوت السموات" (ص ٣٨٩-٣٩٠).

وقبل أن نقدم المصادر اليهودية في القرون الثلاثة الأولى من تاريخ الكنيسة، يجب أن نلتفت إلى أن المعلومات التاريخية الهامة التي قدَّمها العلامة أوريجينوس لها دلالات تاريخية ولاهوتية؛ لأنها ذات المعلومات التي قدمها ايريناوس وترتليان.

أولاً: إنكار أُلوهية الرب يسوع. وهذا ما جعل لشريعة موسى فاعليات خاصة عند الشيع المتهودة.

ثانياً: الاختلاف حول الميلاد من العذراء، وأن شذوذ الفكر عند الذين قالوا من الابيونيين إن الروح القدس هو أُم يسوع، يعود إلى الأصل السامي لكلمة "الروح"، لأن كلمة "الروح" مؤنثة وليست مذكَّر.

وفي إنجيل فيليب الغنوسي من تواليف القرن الثالث، يقاوم الإنجيل الغنوصي ميلاد الرب من عذراء؛ لأن الروح (مؤنث) لا يمكن أن يتزوج مريم. وهذه العبارة بالذات تكشف عن الأصل الآرامي (السرياني) لذلك الإنجيل الذي ضاع[١].

(١) الشذرات والفصول التي بقيت منه، عُثر عليها في نجع حمادي في صعيد مصر.

الفصل الثالث

حركة التهود حسب المصادر اليهودية

انطلقت البشارة من أورشليم ومن اليهودية، وانتشرت المسيحية بين يهود الشتات، وحسب شهادة سفر الأعمال نفسه، كان الرسل يُصلُّون في الهيكل بعد العنصرة (أع ص ٣)، وسجَّل سفر الأعمال الكرازة بالمسيحية في مجامع اليهود (أع ١٣: ٥، ١٤ – أع ١٤: ١ – أع ١٧: ٢، ٢٠ – أع ١٨: ٩، ١٤ – أع ١٩: ٨). كان المجمع Synagogue هو محور ومكان العبادة، حتى قبل سقوط أورشليم، وكان يسمى "بيت الدراسة" Beth ha midrash. أدرك الرابانيون (جمع رابي) خطورة الدعوة المسيحية، ولذلك عُقد مؤتمر في يمنة خارج مدينة غزة في فلسطين في فترة تاريخية دار جدلٌ بشأنها تقع بين سنة ٨٠ – ١١٠. وكان أهم ما قرره هذا المؤتمر، هو إضافة صلاة جديدة خاصة بيوم السبت، وكان من طلب الإضافة الرابي غمالائيل الصغير، وكتب كلماتها صموئيل الصغير، وعُرفت باسم البركة الثانية عشر، ولها اسم عبراني معروف Birkath ha minim وقد دار حولها نقاشٌ حاد بين المؤرخين اليهود والمسيحيين حول ما إذا كانت هذه الصلاة ضد المسيحيين، أم ضد شيع الغنوصية؟ ولكن وجود اسم Nazareem وهم

"بار منايم – أولاد اللعنة" لا يشير إلى فئة معينة، بل إلى كل من آمن برسالة المسيح. وظل بعض المؤرخين ينكرون وجود الصلاة نفسها خوفاً من مواجهة الاتهام بعداء السامية، ولكن النص وُجِد ضمن مخطوطات مجمع بن عزرا الملاصق لكنيسة القديسة بربارة في مصر القديمة، وهذا هو نص هذه الصلاة: "ليكن لا رجاء للمرتدين، وسلطانهم ووقاحتهم اخلعها سريعاً من الجذر في أيامنا، وليهلك الناصريين الهراطقة في لحظة، وامسح أسمائهم من سفر الحياة حتى لا يُحسَبوا مع الصديقين. مباركٌ أنت يا رب يا مَن تُذل المتشامخين"(١).

ولكن يبدو من قراءة دقيقة لتاريخ الكنيسة مع مجامع اليهود أنه في عام ١٣٥ ميلادية قام ابن الكوكب Bar Cochba بمحاولة ثورة ضد الرومان، وأدى ذلك إلى الانفصال التام بين مجمع اليهود والكنيسة بعد قمع الامبراطور هادريان لهذه الثورة.

---

(١) راجع في ذلك:

C. W. Dugmore: The influence of the Synagogue upon the Divine office, 1964 p4.

في أكثر من قراءة، لا سيما مخطوطة أوكسفورد، وهي صلوات الرابي آرام، وقد أُبدلت كلمة "الناصريين" بالنصارى (المرجع السابق ص ٤).

بل سجَّل يوسابيوس المؤرخ (٤: ٥ – ١ – ٢) "أن أساقفة أورشليم من أصل يهودي، كان عددهم ١٥ أسقفاً، وأن الكنيسة كلها كانت من العبرانيين الذين كانوا أعضاء فيها منذ أيام الرسل حتى حصار أورشليم". وبعد ذلك يذكر أن أول أسقف من الأمم، كان مرقس (٥: ١٢ – ١).

من الآباء أبيفانيوس ثم جيروم، نعرف أن تيار التهود الذي كانت تقوده الحركة الأبيونية وصل إلى قبرص وسوريا وبلاد ما بين النهرين (العراق). وأنهم كانوا يعبدون في مجامع ولهم شيوخ[١].

ومن وثيقة أبوكريفا، وهي أعمال بطرس، نعرف أن مكان العبادة عند بعض المسيحيين كان يُسمى "المجمع"، بل إن القديس ايريناوس يسمى الكنيسة "مجمع الله"[٢]. بل يحرص الشهيد أغناطيوس الأنطاكي على تأكيد احترام الشيوخ؛ لأنهم "سنهدريم الله ومجمع الرسل" (ترالس ٣: ١)، ومع ذلك حذَّر أغناطيوس نفسه في الرسالة إلى فيلادلفيا: "لا تسمعوا لمن يدعوكم لليهودية، لأن من الأفضل أن تسمعوا عن المسيحية حتى من إنسان اختتن من أن تسمعوا اليهودية من شخص أممي (غير يهودي)".

---

(١) راجع أبيفانيوس، ضد الهرطقات ٣٠: ٣.

(٢) ضد الهرطقات ٣: ٦-١.

الاسم العبراني هو أصل الاسم "نصارى":

بالحرف العبرانية נוצרי(מ) ن و ص ر ى ويُضاف حرف (م) في صيغة الجمع. ورد اسم يسوع الناصري في التلمود البابلي ٥ مرات، يهمنا الفقرة Avoda zarah ١٦ب – ١٧أ التي تقول: "يعلمنا الرابانيون أنه لما قُبض على رابي اليعازر لتمرده وقُدِّم إلى المحاكمة، قال له الحاكم: "هل أنت شيخٌ طاعنٌ في السن وتشغل عقلك بأمور تافهة؟ فأجاب: "عادلة هي الأحكام التي أنتظرها. ربما كان الحاكم قد سأل هذا السؤال كنوع من الاحترام، ولكنه كان يشير إلى أبينا السمائي. فقال الحاكم: "أنك تثق فيَّ لا تتذكر أنني قبضت عليك. ولكن لما جاء الرابي إلى بيته، جاء تلاميذه في تحدي ولكنه لم يهتم. فقال رابي أخيبا: "رابي اسمح لي أن أُعيد عليك ما تعلَّمته منك. فقال له "قل ... فقال أخيبا إنني كنت في العلية أتمشى ووجدت رجلاً من تلاميذ يشوع الناصري وآخر اسمه يعقوب الذي قال لي: "مكتوب في التوراة: لا تجلب زبوناً لمرأة زانية، فماذا نفعل إذا كسرت هذه الوصية؟ .. وهكذا علمني يشوع الناصري أن أجرة من يجمع زبائن للزانية، يجب أن تُرد إليهم لأنهم جاءوا من مكان النجاسة، وإلى مكان النجاسة يجب أن يعودوا". التدقيق في النص يجعلنا نعود بتاريخه إلى حوالي عام ١٣٠ لأن رابي اليعازر هركانوس كان قائد التمرد ضد وجود شخص يتبع

يسوع، يبدو أنه كان أحد الهاربين من الرومان.

وورد في الفصل Faanit ٥٢٧ "كانت العادة أن لا نصوم يوم السبت احتراماً للسبت، فلماذا لا نصوم يوم الأحد؟ وجاءت إجابة رابي يهوحنان: السبب هم الناصريون – حرفياً (النصاريم)".

Birkat ha - minim

ثار لغطٌ كثير حول هذه الصلاة: هل هي تشير إلى المسيحيين، أو إلى يهود متنصرين؟ ولا تخلو أدلة كل فريق من محاولة التدقيق. فالمؤرخ الانجليزي G. F. Moore في المجلد الثالث بعنوان "اليهودية" ص ٧١ وما بعدها يعتقد أنها ضد الذين اتبعوا تعليم بولس. والمؤرخ اليهودي J. Neusner في بحثه "تاريخ اليهود في بابل، مجلد ٣: ١٢–١٣) يعتقد أنها خاصة باليهود الذين رفضهم الرابانيون. الاسم minim مينيم هو اسمٌ سيء جداً ويحمل معنى الارتداد والهلاك. وكما ذكرنا سابقاً إن الصلاة تعود إلى مجمع يمنة، وقد حذف يهود أوروبا الاشكيناز هذه الصلاة من كل كتب الصلاة، بينما ظلت تُقال في صلوات اليهود الشرقيين. وكما ذكرنا من قبل، إن النص الكامل وُجِد في مجموعة قصاصات مجمع بن عزرا في مصر القديمة.

وفي سنة ١٩٠٧ نشر ماركس Marx صلوات الرابي آرم في مخطوطة دُوِّنت عام ١٤٢٦ وقد احتوت على: "ليهلك الناصرين، وminim في لحظة".

لكن الأهم، أن كتب الصلوات الخاصة بيهود اليمن في جنوب الجزيرة العربية قد احتوت على mosarim و minim وقد نُشر النص في دائرة المعارف اليهودية طبعة ١٩٧٥ مجلد ٣١ ص ٥٤-٦٤ وجاءت شهادة القديس أبيفانيوس لتقول عن كل مَن لا يُعتبر يهودياً، لا سيما الذين ذُكروا في الصلاة: هم مَن يكرههم اليهود، ولا تقف الكراهية عند البالغين، بل الأطفال أيضاً، ويقف الشعب في الصباح وفي منتصف النهار وفي المساء، ثلاث مرات في اليوم لكي يلعنوا كل فاعلي الشر في صلواتهم التي تصلى في المجامع، وثلاث مرات في اليوم يلعنون الناصريين (بناريون ٩: ٩-٢).

الفصل الرابع

التاريخ المسيحي حتى نهاية القرن الخامس

القديس أبيفانيوس

ولد القديس أبيفانيوس عام ٣١٥ في بيت جورفين، في القسم الذي كان يُعرَف باسم "اليهودية"، توفي عام ٤٠٢ أو ٤٠٣. كانت لغته الأصلية هي الآرامية، ولكنه أتقن اليونانية واللاتينية، وربما القبطية.

وحسبما ذكر القديس جيروم[١]، درس أبيفانيوس في مصر (الإسكندرية) وعلى شيوخ الإسقيط، وعاد إلى بلده، وأسس فيها ديراً، ثم انتُخِب أسقفاً على سلاميس (قبرص) في عام ٣٦٧. من أهم ما تركه أبيفانيوس كتاب "تفنيد كل الهرطقات" المعروف باسم "بناريون"، حيث شرح ما يقرب من ٨٥ هرطقة، وردَّ عليها. وتم تلخيص كتابة "بناريون" في ملخص عُرف باسم anacephalaiols. وكان قد اعتمد على كتابات ايريناوس وهيبوليتوس في تأليف كتابه. ما يهمنا

(١) ضد روفينوس ٢: ٢٢ PL 23: 445.

هنا هو فصل ٢٩ من كتاب أبيفانيوس: "بناريون"، حيث كتب عن الناصريين: "هم خلفاء الأبيونيين، وربما كانوا قبل الأبيونيين أو بعدهم، ولكنهم معاصرون لهم .. **ولم يأخذوا اسم المسيح أو اسم يسوع**، بل قالوا إنهم نصارى، وكان البعض قد سُميَّ يسوعيين قبلما دُعي التلاميذ مسيحيين في أنطاكية، بل دعوا أنفسهم أحفاد يسى؛ لأن داوود كان من أحفاد يسى حسبما ذُكر في العهد القديم أن الرب قال لداود "من ثمرة صُلبك سوف أقيم من يجلس على عرشك" (مزمور ١٣١: ١١)، ولكنني أخشى أن أتمسك بالمعنى الحرفي الذي يتمسك به هؤلاء؛ لأن معنى كلمات المزمور أوسع من أن تُحشَر في معنى واحد .." (بناريون ١١: ١١).

بعد ذلك يكتب في (١٣: ١١): "لأن كرسي داود الملوكي هو الكهنوت في الكنيسة المقدسة والتي جعلها واحدة متحدة به، ونقل كرسي داود إلى الكنيسة التي لم يفارقها .. وبمجيء المسيح لم يعد مَن يخلف داود على عرشه، وتوقَّف تماماً من رؤساء يهوذا. وبمجيء المسيح سقطت خلافة داود عندما وُلِد يسوع في اليهودية في بيت لحم ..". وفي الكتاب (٤: ٢) يقول: "ويعقوب بن يوسف هو من زوجة يوسف الأولى، وليس من مريم"، وأضاف: "إن يسوع دُعيَ نذيراً أو Nazirite لأنه قُدسٌ لله" (٤: ٣).

أتباع يسوع:

وفي (٥: ١١) كتب أبيفانيوس: "إن الذين يحبون البحث في أصل الكلمات Philologist في كتابات فيلون السكندري عن عاداتهم الخاصة بالصلاة، وكلمات التسبيح التي تُقال، وأقامتهم في منطقة مريوط حول أماكن النسك، ولم يكن فيلون يصف هؤلاء بالمسيحيين؛ لأنه عاش في هذه المنطقة، حيث سكن معهم في أماكن تنسُّكِهم، وكانت سكناه في أسبوع الفصح (البصخة)، حتى أنه سلك مسلكهم، وكيف كانوا يصومون طوال الأسبوع، بينما كان البعض يأكل بعد يومين من الانقطاع، والآخرون كانوا يأكلون في مساء اليوم. وكما ذكرت كان فيلون يعتقد أن هؤلاء مسيحيين حسب إيمانهم وسلوكهم لأنهم أطلقوا على أنفسهم لفترة قصيرة "اليسوعيين"، وهؤلاء اعتزلوا المجمع بعد صعود الرب حينما جاء مرقس وبشَّر في أرض مصر. هؤلاء دُعُوا أتباع الرسل، ولكن أنا أعتقد أنهم "النصاريين"، وسوف أسرد ما أعرفه. هم انحدروا من أصل يهودي وخصَّصوا أنفسهم لدراسة الشريعة الموسوية، وممارسة الختان (٥: ٥)..... (٥: ٦) وبعد ما سمعوا عن يسوع وعاينوا معجزاته الإلهية التي كانت تتم أيضاً على أيدي الرسل، آمنوا بيسوع. ولما عَرِفوا أن يسوع حُبِل به في الناصرة وعاش في بيت يوسف، ولذلك دُعيَ "يسوع الناصري"، حسبما ذكر

الإنجيل وكما قال الرسل: "يسوع الناصري رجلٌ تبرهَن لكم بالآيات والعجائب ..."، اتخذ هؤلاء اسم "الناصريين"، وليس المعنى "النذير" الذي قُدِّس للرب، لأن هذا اللقب أُعطى قديماً، وهو لقبُ شرفٍ يعطى للمولود البِكر الذي يُقدَّس لله، ومن ضمن هؤلاء شمشون وآخرين من الذين جاءوا بعده ومن قبله، وكذلك أيضاً يوحنا المعمدان هو واحد قُدِّس لله لأنه "لم يشرب خمراً".

من هم الناصريين؟

في كتابه بناريون (٦: ١) يذكر أبيفانيوس: "إن الذين أطلقوا على أنفسهم اسم "اليسوعيين" لم يقولوا عن أنفسهم إنهم نصارى؛ لأن هذه الهرطقة كانت معروفة قبل زمن المسيح، والنصارى لم يعرفوا المسيح" (٢: ٦)، ولكن ما أكثر الذين أطلقوا هذا الاسم "الناصريين" على المسيحيين -كما ذكرت- وهذا واضح من الشكوى التي قُدِّمت ضد بولس بأنه "مقدام هرطقة الناصريين" (أع ٢٤: ٥)، ولم يتصدَّ الرسول القديس بولس لهذه التهمة، وأنه ليس مقدام هرطقة الناصريين، بل قَبِل اتهام المنافقين؛ لأن يسوع قَبِل الاسم "الناصري" (٦: ٤)، بل أجاب وقال أمام المحكمة: إنهم لم يجدوني أتكلم في الهيكل مع أي إنسان أو أدعو إلى التجمهر، وما قدَّموه ضدي هو بلا دليل، ولكن أعترف أمامكم أنني أخدم الله حسب الطريقة التي يصفها هؤلاء

باسم الهرطقة، وأُؤمن بكل ما جاء في الشريعة والأنبياء (٦: ٥). وهنا لا يجب أن نندهش من أن الرسول قَبِلَ أن يُوصف بأنه ناصري؛ لأن كثيرين أطلقوا هذا الاسم في ذلك الزمان على المسيحيين، لأنه ارتبط باسم الناصرة، ولأنه حتى ذلك الوقت، لم يكن للمسيحيين اسمٌ خاص".

وقدَّم أبيفانيوس بعد ذلك أسماء الهراطقة مثل المانويين أتباع ماني، والمرقيانيين اتباع مارقيان الغنوصي: "كل هذه الهرطقات (٧: ١) التي أشرت إليها لم يُطلِق أحدٌ منهم اسم يسوع أو اليسوعيين، ولم يقبلوا اسم المسيحيين. أما الناصريون فقد أخذوا اسمهم من الناصرة، ولكنهم ظلوا في الحقيقة يهوداً ولا شيء آخر غير اليهودية".

وفي (٧: ١) يكتب أبيفانيوس: "لا يوجد فيهم عيب لأنهم يؤمنون بالمسيح".

وفي (٧: ٣): "ويقبلون القيامة من الأموات .. وبإلهٍ واحد وابنه يسوع المسيح".

وفي (٧: ٤) أضاف: "إنهم أتقنوا اللغة العبرانية لأن التوراة والأنبياء وكل ما يُسمى بالأسفار حتى الأسفار الشعرية وأسفار الملوك، والأخبار وأستير، وكل باقي الأسفار، تُقرأ عندهم باللغة العبرانية كما هي عادة اليهود".

وفي (٧: ٥): "ووجه الاختلاف بينهم وبين اليهود والمسيحيين هو أن اليهود لا يتفقون على أن يسوع هو المسيح، بينما يقبل المسيحيون ذلك؛ لأن المسيحيين درسوا التوراة، وممارسة الختان وحفظ السبت وأمور أخرى يتمسك بها الناصريون".

الأماكن التي انتشرت فيها بدعة الناصريين:

انتشرت هذه البدعة -كما كتب ابيفانيوس- في Borea القريبة من Colele Syria وفي العشر مدن في Pella ومن هذه الأماكن انتشرت البدعة بعد الخروج من أورشليم، عندما خرج التلاميذ للحياة في Pella بعد أن أخبرهم المسيح أن يتركوا أورشليم بسبب الحصار الذي سوف يحدث لأورشليم، وحينما عاش التلاميذ في Perea وُلِدت هذه الهرطقة هناك، وكانت هذه هي بدايتها.

وقد ورد اسم Pella في نصوص تل العمارنة، وهي أصلاً مدينة كنعانية في الجليل الأعلى، وأُعيد بناء المدينة وأُطلق عليها الاسم اليوناني Pella بواسطة جيش الإسكندر المقدوني.

ما يميِّز الناصريون؟

(في ٨: ١) يذكر أبيفانيوس: "ويفتخرون بالختان، لأنهم لا

زالوا تحت لعنة الشريعة لأنهم لا يحفظون الشريعة، وهو ما تذكره التوراة: "أن تظهر أمام الرب إلهك ثلاث مرات في السنة" (خروج ٢٣: ١٧) في عيد الفطير وعيد المظال وفي أسبوع الفصح في أورشليم" (٨: ٢) لأنهم مُنعوا من الذهاب إلى أورشليم (٨: ٢) وبقية أحكام الشريعة التي لم يكملها أحد".

كراهية اليهود للناصريين:

في (٩: ١) يذكر أبيفانيوس أن الناصريين مكروهون تماماً عند اليهود "وليس فقط أولاد اليهود، بل باقي اليهود الذين يشجعون الكراهية ضد الناصريين، ويقفون في المجامع في الصباح والظهر والمساء، ثلاث مرات كل يوم وينطقون باللعنات والشرور على الناصريين، وثلاث مرات في اليوم يقولون: "يلعن الله الناصريين. وعداء اليهود سببه هو أنهم يجاهرون بأنهم يهود، ومع ذلك يعترفون بأن يسوع هو المسيح، وبالتالي هم يمارسون ما لا يقبله اليهود الذين لم يؤمنوا بيسوع".

إنجيل متى العبراني:

ويذكر أبيفانيوس أيضاً في (٩: ٤): "أنهم يحتفظون بإنجيل متى باللغة العبرانية. ولكنني لا أذكر إذا كانوا قد احتفظوا بسلسلة الأنساب، أم حذفوها، أي سلسلة الأنساب من ابراهيم إلى المسيح".

خلاصة ما جاء في بناريون عن الناصريين:

١- استخدام العهدين معاً.

٢- اتقان اللغة العبرانية وقراءة إنجيل واحد بالعبرانية، وهو إنجيل متى.

٣- يؤمنون بقيامة يسوع من الأموات.

٤- يؤمنون بإلهٍ واحد خالق السموات والأرض.

٥- يؤمنون بأن يسوع ابن الله.

٦- يمارسون شريعة موسى.

٧- يحفظون السبت والختان.

من هم هؤلاء Ναξωραίοι الناصريين أو النصارى؟

يذكر ابيفانيوس: "لم يأخذوا اسم المسيح أو اسم يسوع، ولكن دَعوا أنفسهم Ναξωραίοι" (بناريون ٢٩: ١). ثم يؤكد "أنهم يهود حسب الولادة، وخصصوا أنفسهم للشريعة وحفظ الختان" (٤٥). ثم يؤكد بعد ذلك أنهم بعد أن أدركوا أن يسوع المسيح "حُبل به في الناصرة وعاش في بيت يوسف، وأنه دعي "يسوع الناصري" في الإنجيل ..." (٤٥).

واختلط اسم الناصريين في السريانية أو الآرامية باسم "نصريو"، أي النصارى في العربية بعد ذلك.

وقد توسَّع القديس أبيفانيوس في شرح علاقة هؤلاء بالأبيونيين، وهم أيضاً شيعة يهودية مسيحية، وكانوا مثل النصاريين يحفظون شريعة موسى واحتفظوا بالختان.

القديس جيروم:

أجاد العبرانية واليونانية بجانب اللاتينية، وهو مترجم العهد القديم إلى اللغة اللاتينية (الفولجاتا). كان جيروم يطوف منطقة شرق الأردن، وعاش فيها، ثم انتقل إلى مكان قريب من أنطاكية[١]، ثم إلى أنطاكية في ٣٧٧ واشترك في الحكم على أبوليناريوس، وكان معاصراً للقديس أبيفانيوس.

ذكر جيروم في كتابه "مشاهير الرجال" (فصل ٣): "كانت العبرانية هي اللغة الأصلية لإنجيل متى وحفظ لنا الشهيد بامفيليوس نسخة منه في مكتبة قيصرية، لا زالت معروفة إلى يومنا هذا، ويحفظ الناصريون هذا الإنجيل، بل يستعملونه في مدينة Beroea وهي مدينة في سوريا، وكان لديَّ فرصة لكي أنقل نسخة منه" (P. L. 23:613). وقد ترجم جيروم هذا الإنجيل العبراني إلى اليونانية واللاتينية[٢].

([1]) J. N. D. Kelly, Jerom, 1975.

(٢) راجع مشاهير الرجال ٢-٣، شرح متى ١٢: ١٣.

فما هو تعليم الناصريين؟

كتب جيروم رسالة إلى القديس أوغسطينوس حوالي ٤٠٤ وذكر فيها أنهم "يؤمنون بالمسيح ابن الله، وُلِدَ من مريم العذراء، وأنه تألم على عهد بيلاطس البنطي، وأنه قام" (رسالة ١١٢: ١٣). وفي شرح إنجيل متى يقدِّم جيروم مجموعة من البيانات تؤكد عدم وضوح إيمان الناصريين، إذ يقول: "الناصريون الأغبياء إذا هم مندهشون من أين جاءت الحكمة لمن هو حكمة، والقوة لمن لديه كل قوات، وخطأهم الظاهر هو أنهم يتطلعون إلى ابن النجار (يسوع)" (١٣: ٥٣-٥٤).

وذكر جيروم أن اليهود، لا سيما شيعة الفريسيين، يلعنون في مجامعهم "الناصريين"؛ لأنهم يمزجون إيمانهم بالمسيح بشريعة موسى (شرح أشعياء ٨: ١١).

وفي فقرة غريبة في رسالته السابقة إلى أوغسطينوس يقول: "إن الناصريين انتشروا في كل مجامع اليهود في الشرق" (راجع P.L. 22:924).

وأهم ما ذكره جيروم عن هذه الشيعة، ورد في شرح نبوة أشعياء، وهو:

أولاً: أشعياء ٨: ١٤: "قَبِل الناصريون المسيح بطريقة خاصة جعلتهم يحفظون شريعة موسى، وأن أصل الفريسيين والكتبة يعود إلى مدرسة شماي ومدرسة هليل .. وأن كلاهما ولدا في اليهودية قبل ميلاد الرب .. وأن المدرستين (حرفياً البيتين) رفضتا المخلص الذي صار عندهم الدمار والعار" (P.L. 24:119).

ثانياً: أشعياء ٥٩: ١-٤: "وقد ذكرتُ سابقاً آراء الناصريين الذين حاولوا شرح كلمات النبوة على النحو التالي: عندما جاء المسيح وانتشر تعليمه في أرض زبولون ونفتالي (كلمات نبوة أشعياء)، وكان الناصريون أحراراً من تعليم الكتبة والفريسيين، طرحوا عن أكتافهم أخطاء الكتبة والفريسيين. وأخيراً وبعد ذلك عندما انتشر التعليم، إلا أنه تنوَّع في الشرح على يد الرسول بولس، وهو آخر الرسل" (P.L. 24:125).

ونلاحظ أن هذه الفقرة بالذات، لا تقدم بيانات أكثر، إلا أنها تؤكد الهجوم على "الكتبة والفريسيين".

ثالثاً: أشعياء ٢٩: ٢٠-٢١: "يعتقد الناصريون أن ما كُتِب عن الشيطان وملائكته هو عن الكتبة والفريسيين؛ لأن التسليم أضاعوه، لأن الشيطان أضل هؤلاء الناس بتعليم

مضاد شرير ... وجعل الذين قبلوا تعليمه ضد الكلمة الذي من الله لكي ينكروا أن المسيح كان ابن الله" (P.L. 24:336).

رابعاً: أشعياء ٣١: ٦-٩: "يفهم الناصريون هذه العبارات: "يا أبناء اسرائيل الذين ينكرون ابن الله، ولكن عودوا إلى المسيح وإلى رسله. إن فعلتم ذلك، سوف تنكرون الآلهة التي كانت سبب الخطية في الماضي، بل سوف يسقط الشيطان أمامكم ليس بسبب قوتكم، ولكن بسبب لطف ورحمة الله ..".

خلاصة ما جاء عند جيروم عن الناصريين

١- بقاء الشريعة القديمة المدوَّنة في أسفار موسى الخمسة.

٢- فصلوا أنفسهم عن اليهود، ولكن لم يكونوا أعضاء في الكنيسة الجامعة.

٣- اختاروا الاسم "الناصريين"، ولم يأخذوا اسم "المسيحيين".

٤- كانت العبرانية والآرامية هي لغتهم.

الفصل الخامس

تأكيد هوية الناصريين

القديس أغسطينوس

حوالي سنة ٤٠ كتب أوغسطينوس مقالته عن "المعمودية ضد الدوناتيين"، وقد ذكر في هذه المقالة أن الناصريين "لا زالوا معنا إلى هذا اليوم، وهم يقولون إنهم ناصريون ومسيحيون، وهم يمارسون الختان يقطع غلفة الجسد حسب الشريعة اليهودية، وهم هراطقة لأنهم لم يتعلموا كيف ترك بطرس التعليم الخاص بالشريعة الذي أكده بولس" (٨: ١ – P.L. 43:225). وأعاد الاتهام بالهرطقة في مقالته "ضد فستوس"، حيث قال: "إن فستوس أطلق عليهم اسم سيماخوس Symmachians ولكنهم هم الناصريين" (ضد فستوس ١٩: ١٧).

ثيئودور المؤرخ

عاش في الفترة (٣٩٣–٤٦٦) وترك لنا نبذة قصيرة في كتابه "ضد خرافات الهراطقة، حوالي ٤٥٣"، وذكر بوضوح أن: "الناصريين هم يهود، وهم يكرمون المسيح كرجل بار، ويقرأون إنجيل بطرس. وذكر يوسابيوس (المؤرخ) أن هرطقات هؤلاء نشأت في عصر الإمبراطور دومتيان، وكتب

الشهيد يوستينوس وايريناوس خليفة الرسل، بل أوريجينوس أيضاً" (P.G 83.389).

وأهم ما جاء في هذه الفقرة هو احترامهم للمسيح كشخص بار، واستخدام إنجيل بطرس. ولعل ثيؤدور كان يشير إلى تاريخ الكنيسة – يوسابيوس (كتاب ٣: ٧)، حيث ذكر يوسابيوس أن الناصريين اعتبروا المسيح إنساناً فقط، وأنه وُلِد من زواج رجل وامرأة. كذلك ورد اسم "إنجيل بطرس" عند العلامة أوريجينوس في شرح إنجيل متى (١٠: ١٧)، وهو إنجيل منحول، كُتِبَ لتأكيد تعليم "المشبهة – Docetism" الذين كانوا يظنون أن جسد المسيح خيال.

إنجيل العبرانيين

هل هو مجموعة أقوال الرب التي أشار إليها بابياس Papias وأن من ضمن هذه مجموعة أقوال باللغة العبرانية (يوسابيوس القيصري تاريخ الكنيسة ٣: ٣٩)؟

تاريخياً، كان أول من أشار إلى هذا الإنجيل المنحول هو أكليمنضس السكندري (المتنوعات ٢: ٩). وترجع أهمية هذا الإنجيل إلى أن مجموعةً كانت لا تزال تتكلم الآرامية وتقرأ بالعبرانية إنجيلاً نُسب لمتى الرسول. من هذا نرى أن الجذور اليهودية كانت لا تزال تثمر في أوساط المسيحيين

الذي تركوا رسالة المسيح، وغضبوا جداً من بولس الرسول الذي أطلق على هذه التجمعات تسمية "الأخوة الكذبة" (راجع على سبيل المثال غلاطية ٢: ٤ مع ٥: ٧-٢، ٢كو ١١: ١٣)، وكما نعرف من سفر الأعمال أن هؤلاء كانوا يطالبون العائدين إلى الرب بضرورة الختان والتمسك بشريعة موسى، ومن أجل هذا الاقتحام عاد عقد أول مجمع في أورشليم (أع ١٥) وهو المجمع الذي لم تلتفت إليه كنيسة العصر الوسيط الأوربي التي عادت إلى الشريعة الموسوية بسبب سبق القانون على الإيمان برسالة الإنجيل.

وهناك نصٌّ ورد عند العلامة أوريجينوس في شرح إنجيل يوحنا ٢: ١٢ يقول فيه: "إذا قَبِل أحدٌ إنجيل العبرانيين حيث ورد أن المخلص قال عن نفسه: "أمي هي الروح القدس الذي حملني من شعرة في رأسي وجاء بي إلى الجبل الكبير، جبل طابور"، فهو لن يشك مطلقاً، أنه من المستحيل أن يكون الروح القدس هو أُم المسيح". وواضح أن الروح في كل اللغات السامية كلمة مؤنث، وليس أدل على ذلك من سخافة إنجيل فيلبس الغنوسي الذي ينكر أن يسوع حُبل به من الروح القدس، إذا كيف لمؤنثٍ وهو الروح، أن يلد ذكراً من مؤنثٍ آخر، وهو القديسة مريم؟

إذا عدنا إلى ثيئودور المؤرخ وإلى تاريخ الكنيسة، نجد في

(الكتاب ٢: ١) أن فرقة الأبيونيين قالوا إن الرب يسوع المسيح وُلِد من مريم ويوسف، وأنه مجرد إنسان تفوَّق على غيره في التقوى. لأنهم يعيشون حسب شريعة موسى. ويقبلون إنجيل العبرانيين وحده، ويقولون عن بولس إنه "مرتد"، وهم في الأصل أتباع سيماخوس الذي ترجَم أسفار العهد القديم من العبرانية إلى اللغة اليونانية. وعرض المؤرخ نفسه بعد ذلك لاحتفاظهم بيوم السبت حسب شريعة اليهود "وهم يقبلون إنجيل متى وحده ويقدِّسون يوم الرب" (٢: ٢).

فالناصريون Ναξωραίοι عند ثيودور "هم يهودٌ يكرِّمون المسيح كإنسانٍ بار، ويستعملون الإنجيل المدعو "إنجيل بطرس". وذكر يوسابيوس المؤرخ أن هذه الهرطقات نشأت في زمان الإمبراطور الروماني دومتيان، وأن الشهيد الفيلسوف يوستينوس كتب عن هؤلاء، وكذلك ايريناوس خليفة الرسل وأوريجينوس" (ثيؤدور تاريخ الكنيسة ٢: ١١).

ثيئودور بار كاهاني Bar-Khonai

في كتابه "كتاب الدارسين، الجزء الثاني نشره Scher في مجموعة CSCO مجلد ٦٩ ص ٣٠٢، وحسب الأصل السرياني "هرطقة النصارى" هم يعترفون أن المسيح هو ابن الله، ولكنهم يعيشون يهوداً في كل شيء".

الفصل السادس

المراجع العربية

تُعد دراسات الأب لويس شيخو اليسوعي من أهم المراجع العربية، وتجيء بعدها دراسة الباحث العراقي جواد علي.

تبحَّر الأب لويس شيخو اليسوعي في دراسات علماء التاريخ في الغرب، وقدَّم لنا في آخر كتابه "النصرانية وآدابها بين عرب الجاهلية"، منشورات دار المشرق – الطبعة الثانية ١٩٨٩) ثبتاً بالمراجع الأوروبية والعربية من دراسات المستشرقين.

يهمنا هنا وفي هذا المجال تحديداً، ذلك الاسم "النصرانية"، وهو يرد في القسم الأول من الكتاب، وتحت عنوان (في تاريخ النصرانية وقبائلها في عهد الجاهلية).

وجاء في ص ٥ تحت عنوان: أديان العرب قبل النصرانية عبارة ذات دلالة بالغة الأهمية، وهي "ليس بحثٌ أغمض من تعريف أديان العرب في الجاهلية. وإن استفتينا كتبة الإسلام في ذلك، وجمعنا كل ما أثبتوه في تآليفهم التي نجت من مخالب الزمان، لما زاد مجموعها في ذلك عن أسطر قليلة".

جاء خلطٌ لغوي غير مقصود، وهو أن المسيحية هي النصرانية، وحدث نفس الخلط عند جواد علي، والسبب الوحيد في ذلك هو أن اسم المسيحية والمسيحيين غائبٌ في أول كتاب في الإسلام، وهو القرآن نفسه، إذ لم يَرِد هذا الاسم بالمرة في القرآن، بينما ورد اسم "النصارى" عدة مرات). وأن أصل الكلمة هو السريانية — الآرامية "نصريو"، لتصل إلى الجزيرة العربية وتتحول إلى "نصارى" حسب دراسات علم الصوتيات Phonetics وعلم الـ Phenomenology ولعل الدراسة الوحيدة التي صدرت في هذا المجال باللغة العربية هي "مقدمة في فقه اللغة العربية"، للراحل الدكتور لويس عوض، وقد طُبع أولاً في القاهرة ونشرته الهيئة العامة للكتاب، وتمت مصادرة الكتاب في ١٩٨١. وقد اعتمد د. لويس على دراسة المستشرق آرثر جيفري عن "الكلمات الأعجمية في القرآن"، وأضاف الكثير، معتمداً على علم الصوتيات، وهو علمٌ لم يدخل بعد في جامعات مصر. وصدرت طبعة أخرى من الكتاب في بيروت ٢٠٠٦ ونُشر خارج مصر بكثافة.

وعندما كتب المستشرق الفونس ميجانا عن "التأثير السرياني على أسلوب القرآن" ونُشرت ترجمة عربية للأستاذ مالك المسلماني (٢٠٠٥)، فقد أفاض المؤلف في تقارض العربية والسريانية، وهو الموضوع الذي كان محلاً لبحثٍ آخر

للبطريرك السرياني أغناطيوس يعقوب الثالث، نُشر في دمشق، وطبعه مجمع اللغة العربية في دمشق، وصودر في الخليج، ولم ير النور إلا في طبعة دمشق. لكن ما غاب، ليس التأثير ولا حتى الاقتراض، بل التنويه إلى أن السريانية كانت هي لغة الثقافة العامة لدى كل شعوب المنطقة الممتدة من سوريا الكبرى والعراق واليمن والعربية السعودية، وأن السريانية كانت لغةً يعرفها ذلك الخليط، بدليل أن أسماء الأعلام كما ذكر ميجانا مثل "اسحق" هي الشكل والنطق السرياني؛ في حين أن أسماء الأعلام في العبرانية تبدأ بحرف الياء "يسحق".

وكتب المستشرق السابق ذكره ص ٦ أن "المسيحيين في القرآن نصارى، والتي افترض أنها الصيغة السريانية "نصريا"، وبالفعل ليست هناك لغة أخرى غير السريانية يعبَّر فيها عن كلمة "مسيحيين" بكلمة "نصريا" أو بلفظٍ مقارِب. ثم أضاف أن هناك وثائق سريانية قديمة ظهر فيها اسم "نصريا" تنطبق حصراً على المسيحيين بدون الإشارة إطلاقاً إلى "الناصريين". (المرجع السابق). وأضاف أيضاً أن الشهيد سيمون بار السبع على جميع المسيحيين "نصريا" في عهد ذلك القديس المكتوبة في نهاية القرن الرابع (سيرة سيريانية).

ونفس اللقب "نصريا" كان ينطبق على كل الذين عاشوا

داخل حدود الإمبراطورية الساسانية (بلاد فارس). ويبدو لمن يراجع دراسات المستشرقين من الأب لويس شيخو إلى نولدكه وغيرهما من الأسماء اللامعة، حتى آخر بحث أصدرته بالألمانية تيريزيا هاينتلر بعنوان "المسيحيون العرب قبل الإسلام"، صدر عام ٢٠٠٧ وربما ظهرت الترجمة العربية قريباً (دار النشر الأسقفية).

خلطٌ غير مقصود

الأسماء العامة هي أسماء متداولة، قد نجد في اكتشاف أصلها اللغوي ما يشير إلى جماعة معينة. وهذا معجم ألفاظ القرآن – المجلد الثاني ص ٥٣٢ – مجمع اللغة العربية، يحاول بحث الأصل اللغوي:

النصارى: أتباع المسيح .. ويرى بعض اللغويين أن واحده "نصران" ونصرانة .. ويرى البعض الآخر أن واحده "نصري" ونصرية .. وهذا اللفظ مأخوذ من ناصرة ..

العبرة هي:

١- الناطقين بالسريانية (الآرامية).

٢- الناطقين باليونانية بجانب اللغات الأخرى مثل أقباط مصر (مثل سريان سوريا والعراق وفلسطين، فقد كان عدد كبير يجيد السريانية واليونانية).

فليست اللغة بدليل على الإيمان، ولا حتى على الانتماء العرقي. وقد أسهب الأب لويس شيخو والأستاذ جواد علي، ونولدكه (تاريخ القرآن – ألماني – عربي – نقله إلى العربية جورج تامر – بيروت ٢٠٠٤) في ذِكر انتشار (المسيحية) في اليمن – الحجاز – الخليج – فلسطين – العراق – سوريا، وطبعاً مصر.

لكن العبرة ليست في التاريخ وحده الذي دُمِّرت آثاره. وكتابات الرحالة عن وجود كنائس في: اليمن – الحجاز، وتديُّن قبائل مثل الغساسنة وتنوخ وغيرهم (بالمسيحية) هو وصفٌ عام.

الصعوبة الأولى:

هي انتشار فرق يهودية مسيحية، ومنها –كما سبق وقدمنا من آباء الكنيسة– "الناصريين". وما تبقى من تاريخ هذه الشيع القليل جداً؛ لأنها لم تستطع أن تكون يهودية أو مسيحية، فقد ماتت مدارس الغنوسية ولم نجد لها أثراً بعد القرن الثالث بسبب منع الزواج والانفصال التام عن الواقع الإنساني، وهو الأسرة. واستعمال الاسم العربي – السرياني "النصرانية" هو استعمالٌ عام، لا يكشف عن عقائد النصارى، لا سيما في مجال الاتهامات التي وردت في القرآن،

التي اتخذت شكل سؤالٍ مباشر: هل "أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله"، ويأتي جوابٌ ليس بالنفي. لا يوجد لدينا وثيقة واحدة مسيحية أو حتى غير مسيحية تشرح لنا تاريخ هذا الاتهام.

بل لعل في أيامنا ومع تصاعد نبرات تكفير النصارى أو المسيحيين "لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح"، لعل ما ورد عند أبيفانيوس عن تعدد آراء ومعتقدات شيع النصارى يقدم لنا دلالةً، وهي إنكار أُلوهية المسيح عند البعض، واعتبار المسيح مجرد إنسان تقي.

من وجهة النظر الأرثوذكسية، الكلام عن إن الله هو المسيح، هو إنكارٌ للآب؛ لأن "الله" الاسم العربي، قاصر على أُلوهية الخالق الذي لا يُوصَف أبداً بالآب في القرآن، أو في كل المصادر الإسلامية. وما هو واضح من النص القرآني، هو اعتبار الله مجرد إنسان اسمه المسيح، فليس في كل القرآن ما يشير إلى أن المسيح إلهٌ متجسد، ولا حتى ذلك الوصف الدقيق بأن المسيح "روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم" و"الكلمة" هنا مؤنث كما هو الحال في كل اللغات السامية، ولو كان الكلمة هو اللوغوس لذكر القرآن "ألقاه"، والاحساس اللغوي والتاريخي أيضاً هو أن الله تحول إلى إنسان؛ لأن التعليم بالطبيعتين كان قد ناله الكثير من الجدل

المسيحي بعد ٤٣١ ثم بعد ٤٥١ والأوطاخية ليست غريبة عن أيٍّ مَن درس التاريخ المسيحي. كذلك "كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة"، فالله واحد من هؤلاء الثلاثة، وهذا لم يكن تعليم المسيحية قبل وبعد ٣٢٥ في قرار مجمع نيقية.

لدينا غموضٌ واضحٌ، فيما يخص عدم ذكر اسم المسيحية في القرآن، ولا اسم المسيحيين، والاكتفاء بالنصارى فقط، فكل الإشارات السابقة تدل على هرطقة وشيعة يهودية مسيحية عُرفت باسم النصرانية، ثم النصارى.

الفصل السابع

ما بين النصرانية والمسيحية ١٤٠٠ سنة

كان غياب اسم المسيحية من القرآن هو المحفز الأول لهذا البحث الذي حاولت فيه اكتشاف "هوية النصارى". وفي هذا السبيل قابلت اشكاليات جمة:

الأولى: وهي الأبحاث التي بدأت في أوروبا بواسطة رواد الدراسات الشرقية مثل J Wellhausen الذي بدأ في النشر في عام ١٨٨٩ وصولاً إلى الأستاذ المعاصر في جامعة Gotborg في السويد Jan Reto:

The Arabs in Antiquity, Their History from the Assyrians to the Umayyads, 2001

"العرب في التاريخ القديم، من الأشوريين حتى الأمويين"، الذي جمع كل ما نُشر عن "العرب". وقد أظهرت الأبحاث اللغوية تعدُّد الأجناس التي أُطلِق عليها وصف "العرب"، وغيرها من الأسماء حسب لغة المؤرخ (اليونانية – اللاتينية – الآرامية – السريانية). ولكن هذه الدراسات الهامة لم تَكشِف لنا عن أصل "النصارى"، اللهم إلا ما ورد في كتابات آباء الكنيسة: أبيفانيوس – جيروم وغيرهما.

الثانية: هي ملاحظة ثيودور نولدكه في المجلد الكبير: تاريخ القرآن، الذي تُرجم إلى اللغة العربية – بيروت ٢٠٠٤ فقد ذكر هذا المستشرق أن "مسيحية الفرق الشرقية نفسها كانت ذات طابع يهودي بارز" (ص ٧)، وذَكَر أسماء القبائل التي عاشت على الحدود الفارسية البيزنطية: طي – تنوخ – تغلب – بكر، ثم لاحظ نفس المستشرق أن القرآن نَقَل عن الأسفار غير القانونية، مثل إنجيل الطفولة عن خلق المسيح من الطين طيراً، وهي لا تختلف عن قصة الخلق من تراب الأرض في سفر التكوين. كما لاحظ المكانة الفائقة ليسوع بين كل الأنبياء، مما يقطع بأن القصص المتداول بين هذه الفرق يؤكد تعدُّد آراء هذه الشيع التي لم تكن داخل دائرة الكنيسة الجامعة، ولكن عدم تدوين إيمان هذه الشيع، إلا ما ورد عند أبيفانيوس بالذات، واختلاف الآراء حول شخص ومكانة المسيح، هو الذي جعل إيمان النصارى قضية معقدة لأن البحث عن الأساس العرقي أو اللغوي لا يقدم إجابة نهائية.

ثالثاً: لقد سالت كميات كبيرة من الحبر على الورق في بحث أصل اللغة العربية، ولم يصل الباحثون إلى قرار، وكان رأي الغالبية العظمى أن الاسلام هو الذي كوَّن اللغة العربية في مصدرها الأصلي، وهو القرآن، وما عدا ذلك، فهو محاولات لم يُكتب لها النجاح لأنها محاولات جادة وصادقة ولكن

كانت دائماً تحتاج إلى أدلة تاريخية لا إلى دليل واحد ورد في نقشٍ هنا أو هناك.

هل النصرانية هي المسيحية؟

الجواب القاطع في ضوء ما ذكره التاريخ عن هذه الفرق التي بدأت في فلسطين ومنها رحلت حتى الحجاز واليمن، وورد ذكرها في القرآن، دون تحديد، بل بشكلٍ عام تحت اسم "النصارى"، يؤكد لنا أن محاولة التخمين أو الاستنتاج تنتهي إلى أننا إزاء فرع من فروع حركة التهود التي بدأت في أورشليم، وذكرها سفر الأعمال، وحاربها الرسول بولس بالذات في رسالته إلى غلاطية وكولوسي. ولكن، هل عاشت هذه الفرق بعد انتشار الإسلام؟ الجواب: نعم، عاشت في شكل تجمعات بشرية، أشار إليها الأب لويس شيخو وغيره من المؤرخين وأعطوها دون مبرر بالمرة اسم "المسيحية"، وقد نتج عن خلط الاسمين هذه الإشكالية التاريخية التي لا يمكن حلها إلا على أساس نوع الإيمان، لا على الأساس اللغوي أو العرقي فقط.

لقد نَمَتَ لديَّ القناعة بأن "النصرانية"، والاسم سرياني، ليست هي مسيحية الكنيسة الجامعة التي كانت لغتها الأساسية هي اليونانية بجانب الآرامية؛ لأن عظات القديس كيرلس الأورشليمي كانت تُترجم إلى الآرامية ترجمة فورية من

أجل الناطقين بالآرامية، وهم كما يبدو كانوا يجهلون اليونانية (٣٦٨ – ٣٨٣). إذن، الأمر متعلق بالهوية التي تعود إلى المسيح نفسه الذي مُسح بالروح القدس لكي نصبح نحن "مسيحيين"، في حين أن "المسحة" تختفي من اسم "النصرانية" أيًّا كان مصدرها التاريخي أو اللغوي.

لقد قادني اسم "المسحة" التي أخذناها من يسوع نفسه، إلى التمسُّك باسم "المسيحية"؛ لأننا مُسحنا في يسوع، وصرنا مسيحيين، وهو ما تؤكده أسفار العهد الجديد والحياة الليتورجية وكتابات الآباء.

د. جورج حبيب بباوي

Studies and References

W. F. Albright, “The Names Nazareth and Nazarene” JBL 65, 1946, 397- 401.

B. Begatti, The Church From the Circumcision’,1971.

M Black, “The Patristic Account of Jewish Sectarianism’, BJRL, 41, 1958, 285- 303.

K.L, The Fourth Gospel and the Exclusion of Christians from the Synagogues”, BJRL, 1940, 1957/8, 19-32.

J.T Dodd, ‘The Gospel According to the Hebrews” 1933.

L. E Elliot-Binns, “Galilean Christianity”1956.

W. Horbury, “The Benediction of the Minium and the Early Jewish - Christian Controversy” JTS , 33, 1982, 19-61.

F J A Hort, “Judaistic Christianity” 1904.

S T Katz , “Issues in the Separation of Judaism and Christianity after 70 C.E” JBL 103, 1984, 43-75.

A F J Klijin and G J Reinink, Patristic Evidence for Jewish – Christian Sects, 1973.

G F More, “Nazareth and the Nazarene, The Beginnings of Christianity, 1920, 426-432.

L Munck, “Jewish Christianity in the Post Apostolic Times, NTS 6, 1960, 103-116.

H Schaeder, “Ναζαρνοσ, Ναζωραιοσ” ThDNT 4, 1942, 874-889.